مـــولد النبي

قال الحكيم الفرنسى الشهير (جوستاف لوبون) « ما عرف التاريخ حاكما أعدل ولا أرحم من العرب » وهذه الخاصية التى تفرد بها العرب فى ذلك العصر إنما كانت نفحة من رسالة الله التى اختار لها صفوة عباده وأقوم مخلوقاته محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه فكان يوم مولده يوم انبثاق العدل الذى كانت الإنسانية تترقبه لما كانت تعانيه من عديد الآلام ولما كان يعتورها من فوضى واضطلال فى جميع النواحى . إن المولد النبوى لم يكن مولد إنسان وإنما كان مولد الانسانية بأجلى معانيها فكان يوما خالداً بحق ذلك اليوم الذى تفتحت فيه أبهى زهرة فى روضة الحياة ولمع فيه النجم الثاقب فى سماء الوجود ليوضح للناس نظم الحياة وسنن الشرائع ونواميس المدنية الفاضلة وليضع الأسس القوية المثبتة للمساواة والعدالة التى تعصف بالفروق الطائفية والامتيازات الخاصة ، نعم لقد اهتز صرح العبودية اهتزازاً قوياً فى ذلك اليوم ، وبدأت قلعة الذل تتداعى : إذ كان هذا شأن ذلك اليوم يوم مولد الرسول انتقال من ظلمة كالحة إلى نور ساطع بهيج ومن فوضى مستحكمة إلى استقرار دائم وطيد ، ومن تحكم وسلطان لا حد لها إلى إرساء قواعد الحكم على أسس من العدالة ثابتة لاجبروت ولا طغيان ، ومن اضطراب فى جميع النواحى خلقية كانت أو اجتماعية إلى انتشار الأخلاق الفاضلة والمثل العليا فارتفعت بذلك القيم الانسانية أقول إذا كان هذا شأن يوم مولد الرسول فأكرم به من يوم سيظل خالداً أبداً حبيباً إلى النفس عالقاً فى الذهن لا يزول .

إن هذه الذكرى الكريمة تبعث فى النفس الأمل والرجاء : الأمل فى أن تستعيد الأمة العربية بعضاً من مجدها التالد (!!) والرجاء فى أن يهدى الله سادة العرب سواء السبيل ويلهمهم الجرأة والشجاعة وأن يؤلف فيما بين قلوبهم حتى تتحد الكلمة ويتوحد الهدف .

الحكم فى الإسلام :

سيدى رسول الله :

إن من مفاخر ما أتيت به من دين حنيف ذلك الدستور الذى تقرر فيه نظام الحكم وعلاقة الشعب بحاكمه . فقد كانت الحكومة الاسلامية شورية بالمعنى الصحيح تستمد سلطانها من الأمة فكانت الأمة مصدر السلطات ، فالحاكم الاسلامى رجل تنتجه الأمة وتختاره وهذه الأخيرة ممثلة فى اهل الرأى فى البلاد ، فلم يكن الحاكم يستبد بالسلطان وحده بل كان يستشير أهل الرأى فى البلاد ويكون رأيه على ضوء ما يبدونه من ملاحظات ونصائح ، فالحكم إذن كان ديمقراطياً فى عهد الخلفاء الراشدين ، فقد كان الخليفة يستمد سلطانه من الشعب وليس أدل على ذلك مما قاله أبو بكر بعد وفاة الرسول فى أول خطبة له قال : « أيها الناس إنى وليت عليكم ولست بخيركم فان رأيتمونى على حق فأعينونى وإن رأيتمونى على باطل فسددونى ، أطيعونى ما أطعت الله فيكم ، فان عصيته فلا طاعة لى عليكم » إلى آخر ما جاء فى الخطبة . وهذا عمر بن الخطاب يخاطب الشعب فيقول : « من رأى منكم فىّ اعوجاجاً فليقومه » فقال رجل : (والله لو رأينا فيك اعوجاجاً لقومناه بسيوفنا) . فقال عمر : (الحمد لله الذى جعل فى المسلمين من يقوم اعوجاج عمر بالسيف) . أى والله رجل من عامة أفراد الشعب يهدد عمر بالسيف إذا ما حاد عن الطريق المستقيم . يهدد تلك الشخصية الجبارة التى لم تتمالك أن تحمد الله وتشكره . الا إنها ديمقراطية الحاكم وجرأة المحكوم نفعنا الله بأخلاق هذا الحاكم وأكثر من أمثال ذلك المحكوم . وبعد فالحديث عن الحكومة الإسلامية يطول ويطول جداً ولا يسمح المقام هنا أن نستطرد فى هذا الشأن .

تحقيق المساواة :

سيدى رسول الله :

لقد أتيت والكون غارق بالشرور والمظالم فكان

مولدك إيذانا بانتشاله مما يتردى فيه ونذيراً بهبوب عاصفة عاتية تكتسح سحب الطغيان والمآثم وتخرج بهذا الكون التعس إلى النور والحق . فلم يكن هناك مجتمع بل كانت هناك طبقات تبدأ بالأشراف وتنتهي بالطبقة المنحطة الوضيعة . فنجد اليهود يدعون بأنهم أبناء الله وشعبه المختار في حين نجد العرب يفتخرون كل الافتخار بأنسابهم وكان الملوك والأمراء ينظرون إلى شعوبهم نظرة تنم عن احتقار وكأنهم عبيد وأرقاء . وجئت يارسول الله فساويت بينهم فانمحى كل أثر لتلك الفروق وذلك التمييز . فأصبحت المساواة المطلقة شعار شريعتك السمحاء. نعم فان التاريخ يحدثنا الشيء الكثير عن تلك المساواة فحادثة جبلة بن الأيهم مع الأعرابي حينما وطيء هذا الآخر على إزار جبلة بن الأيهم فما كان من جبلة بن الأيهم إلا أن لطمه باعتباره رجلا من الأشراف إذ كيف يدوس أعرابي على ثوب رجل من الأشراف كجبلة بن الأيهم ولما رفع الأمر إلى عمر أمر الأعرابي بلطم الشريف جبلة وفي التاريخ كثير وكثير من هذه الحوادث التي تقطع بأن المساواة كانت مطلقة في ذلك العهد .

مكانة المرأة :

قال الله تعالى : « وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ؟ ألا ساء ما يحكمون » فقد كان واد البنت شيئاً طبيعياً عند العرب في الجاهلية ومعلوم أنها كانت في اعتقادهم مجلبة للعار والذل فلما أشرقت شمس العهد المحمدي بددت ذلك المعتقد السخيف الذي لا يستقيم وطبيعة الأشياء فقضى على تلك العادة .

فبدأ العهد الجديد بالنسبة للمرأة إذ اعترف لها بحق الحياة كالرجل سواء بسواء فأخذت تنزل إلى معترك الحياة الصاخب تجاهد مع الرجال ما وسعها الجهاد وتبذل من التضحيات ما أمكنها البذل .

والواقع أن من يتحقق في الشريعة الاسلامية يجد أن المرأة قد نالت من الحقوق مايقطع بأن المرأة في الاسلام لم تكن مكبلة بالاصفاد كما يرجف المرجفون ولم ينزل بها أي ظلم أو عنت بل كانت لها الحرية الكافية في التصرف فمثلا عقد الزواج المرأة هي صاحبة الشأن فيه وليس لأحد من سلطان عليها . فأية شريعة بعد هذا أبعد مدى في تقديس الحقوق ونشر العدالة والمساواة من الشريعة الاسلامية التي جاء بها صاحب هذه الذكرى الكريمة .

خاتمة

سيدي رسول الله :

هذه ذكراك تحتفل بها في كل عام عسى أن تلهمنا بعض القوة والايمان والثبات على المبدأ والجرأة في قول الحق وأنت القائل يارسول الله : (أحب الجهاد إلى الله كلمة حق تقال لامام جائر) ولقد كان بودي أن أترحم على فلسطين الذبيحة وعن استرقاق وبيع الشعوب بالجملة في سوق النخاسة بعد أن حرم البيع بالقطاعي ، كان بودي أن أذكر كل ذلك ولكن . . . ؟ حيا الله هذه الذكرى العطرة ووفق الانسانية جمعاء لتحيى حياة سعيدة ووحد كلمة أبناء العروبة هذا رجائي .

سليمان خالد مطوع

« شكر على هدية »

(كل عام وأنتم بخير)

أهدانا الأديب الكبير ، والقصصي الشهير محمود تيمور بك عميد القصة العربية ، كتابه القصصي الجديد (كل عام وأنتم بخير) فجاءت مناسبة كل المناسبة لقدوم هذا العام الجديد ، ولا يسعنا إلا أن نقدم جزيل شكرنا ، ووافر ثنائنا على هذه الهدية القيمة التي لا تقدر بثمن راجين له مديد العمر ، ليؤدي رسالته المقدسة نحو العالم العربي .

والأستاذ محمود تيمور بك معروف لدى الأمة العربية خاصة والأمم الغربية أيضاً ، بقصصه الرائعة وبيانه الساحر ، وأسلوبه الجزل ، وتفكيره العميق ، وهو غني عن هذا القول ، نسأل المولى تعالى أن يعيد هذا العام على الأمة العربية بالعز والمجد ، واليمن والاقبال .